

الْوَهْنُ

عناصر الموضوع

٢٨٦	مفهوم الوهن
٢٨٧	الوهن في الاستعمال القرآني
٢٨٨	الأنفاذ ذات الصلة
٢٩٠	أنواع الوهن وأسبابه
٣٠٦	أثر الوهن في الأفراد والأمم
٣١٢	علاج الوهن

مفهوم الوهن

أولاً: المعنى اللغوي

قال ابن فارس: «الواو والهاء والنون كلمتان تدل إحداهما على ضعف، والأخرى على زمان»^(١). فالضعف نحو: وهن الشيء يهن وهنا: ضعف، والزمان الوهن والموهن: ساعة تمضي من الليل، وأوهن الرجل: صار أو سار في تلك الساعة. ويطلق الوهن على ثلاثة معانٍ، هي: الضعف، وساعة من الليل، والفتور^(٢).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

قال الخليل: «الوهن: الضعف في العمل، وفي الأشياء، وكذلك في العظم ونحوه»^(٣). وقال الراغب الأصفهاني: «الوهن: ضعف من حيث الخلق، أو الخلق»^(٤). وقال الفيومي: «وهن: ضعف، فهو واهن في الأمر والعمل والبدن»^(٥). وقيل: «ضعف تماسك البدن أو الشيء من اشتماله على رخاوة، ولذهاب الصلابة منه»^(٦). وقيل: «انكسار حد الشيء، بعد قوة متحققة أو ممكنة، مما يؤدي إلى عجزه»^(٧).

(١) مقاييس اللغة، ١٤٩/٦.

(٢) العين، الفراهيدي، ٩٢/٤، تهذيب اللغة، الأزهرى، ٢٣٤/٦.

(٣) العين، الفراهيدي ٩٢/٤.

(٤) المفردات، ص ٨٨٧.

(٥) وانظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٢٨٧/٥.

(٦) المصباح المنير، ٦٧٤/٢.

(٧) وتابع المعاصرون الفيومي، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١٠٦٠/٢، معجم الرائد، جبران مسعود، ص ٨٧٤.

وقد غلب الاستخدام المصطلحي للفظ (الوهن) في الطب والتشريح، وأطلق الأطباء العرب قديماً مصطلح «الوهن» على حالة هي أقل من خلع المفصل. انظر: القانون في الطب، لابن سينا، ٣/٢٤٥. واليوم كثر استخدام اللفظ مصطلحاً، في علوم عديدة، ومن ذلك: وهن الرحم، ووهن الصوت، ووهن البصر، والوهن العضلي، والوهن العصبي، والوهن النفسي.

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل، ٢٣٢٧/٤.

(٧) من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي ص ١٥.

الوهن في الاستعمال القرآني

وردت مادة (وهن) في القرآن الكريم (٨) مرات ^(١).
والصيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]
الفعل المضارع	٣	﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]
المصدر	٢	﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤]
اسم فاعل	١	﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]
اسم تفضيل	١	﴿وَلِإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]

وجاء الوهن في القرآن على معناه اللغوي وهو: الضعف ^(٢).

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله إبراهيم جلعوم، ص ١٤٣٣.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ١٤٩.

الألفاظ ذات الصلة

١ الضعف

الضعف لغةً

قال الجوهري: «الضعف خلاف القوة»^(١).

الضعف اصطلاحاً

قال الراغب: «والضعف قد يكون في النفس، وفي البدن، وفي الحال»^(٢).

الصلة بين الوهن والضعف

قال أبو هلال العسكري: «الوهن هو أن يفعل الإنسان فعل الضعيف وهو قوي في نفسه، فهو من فعل الإنسان. أما الضعف فهو من فعل الله تعالى بالإنسان، كما أن القوة من فعله، تقول: خلقه الله ضعيفاً أو خلقه قوياً»^(٣).

وفرق بعضهم بينهما، فبين أن بينهما عمومًا وخصوصًا وجهيًا، فيجتمعان في الضعف إذا كان طارئًا، وينفرد الضعف في إطلاقه على الضعف الأصلي، وينفرد الوهن في صفات أخرى؛ إذ قد يكون الوهن جبنًا بعد شجاعة، أو فتورًا بعد عزيمة، أو توانيًا بعد همة، أو اختلالًا بعد إحكام الخ^(٤).

٢ القوة

القوة لغةً

«القوة تدل على الشدة، وهي خلاف الضعف»^(٥).

القوة اصطلاحاً

تستعمل تارة في معنى القدرة، وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء، قد يكون في البدن أو في القلب أو المعاون أو القدرة الإلهية^(٦). وأطلقت القوة في القرآن الكريم على خمسة معانٍ: الشدة والبطش، والأنصار والأعوان، والجِد والاجتهاد، والسلاح، والقدرة والطاقة^(٧).

(١) الصحاح، ٤/ ١٣٩٠.

(٢) المفردات، ص ٥٠٧.

(٣) الفروق اللغوية، ص ١١٥.

(٤) من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي ص ٢٢.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٣٦.

(٦) المفردات، الراغب ٦٩٤، بتصرف.

(٧) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ص ٣٨٣.

الصلة بين الوهن والقوة

الوهن: هو ضعف بعد قوة، فالعلاقة بينه وبين القوة علاقة تضاد.
وقيل: إن لفظ (القوة) هو المقابل التام للفظ (الوهن)، فالقوة: شدة، وجد، وشجاعة، وإحكام، واستطاعة. والوهن: ضعف، وفتور، وجبن، وخلل، وعجز^(١).

٣ الكسل

الكسل لغة

«الكسل أصلٌ يدل على التثاقل عن الشيء والقعود عن إتمامه»^(٢).

الكسل اصطلاحًا

«الفتور في الأفعال لسآمة أو كراهية»^(٣).

الصلة بين الوهن والكسل

الكسل هو فتور مع إمكان العزم والجد، وهو بهذا المعنى أخص من الوهن.

١ السنة

العزم لغة

«عزم على الشيء: عقد ضميره على فعله، وعزم عزيمة: اجتهد وجد في أمره»^(٤).

العزم اصطلاحًا

«العزم: عقد القلب على إمضاء الأمر»^(٥).

الصلة بين الوهن والعزم

العزم يقابل الفتور، والفتور هو أحد معاني الوهن، ومن ثم فالعلاقة بين الوهن والعزم التضاد في المعنى.

(١) من ألفاظ القوة ومقابلاتها في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي ص ٢١.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس ١٧٨/٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٣٩/٥.

(٤) المصباح المنير، الفيومي، ٤٠٨/٢.

(٥) المفردات، الراغب، ص ٥٦٥.

أنواع الوهن وأسبابه

يصنف (الوهن) في القرآن الكريم من حيث الشيء الواهن إلى ثلاثة أنواع: وهن الجسم، وهن القلب، وهن العمل. وفيما يأتي توضيح لها.

أولاً: وهن الجسم وأسبابه

ورد لفظ (وهن) للدلالة على وهن الجسم، مرتين في القرآن الكريم: الأولى للدلالة على وهن العظم. والأخرى للدلالة على وهن الحامل. وأما معنى الوهن وهو الدلالة على الضعف، فقد ورد في آيات عديدة كما في المرض أو مرحلة الشيخوخة.

تبين آيات الكتاب الكريم أن الجسم يصيبه الوهن إما بسبب الكبر، وإما بسبب العوارض الطارئة كالحمل والولادة.

١. الوهن بسبب الكبر. يعرض للجسم الوهن بسبب الكبر، فيرق عظمه، ويشيب رأسه، ويرتعش صوته، وتزداد مخاوفه^(١).

وقد اجتمعت هذه المظاهر في نداء زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا

(١) انظر: التناسق الهرموني في أوائل سورة مريم، مجلة الإعجاز العلمي.

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْتِ مِن وَّرَآءِی وَكَانَتْ أَمْرًا۟ۢ عَلَیَّ عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِیًّا ﴿٢٥﴾ [مريم: ٢٥-٢٦].

قال الرازي: «واعلم أن زكريا عليه السلام قدم على السؤال أموراً ثلاثة: أحدها: كونه ضعيفاً. والثاني: أن الله تعالى ما رد دعاءه البتة. والثالث: كون المطلوب بالدعاء سبباً للمنفعة في الدين، ثم بعد تقرير هذه الأمور الثلاثة صرح بالسؤال»^(٢).

فذكرنا يشكو من وهن جسمه بسبب الكبر، فذكر وهن عظمه، وشيب رأسه، وهن العظم كما قال المفسرون: ضعفه، قال الطبري: «ضعف ورق من الكبر»^(٣). وقال ابن كثير: «ضعفت وخارت القوى»^(٤).

وقد بين الزمخشري وجه إسناد الوهن إلى العظم؛ «لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقت قوته، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن»^(٥).

(٢) مفاتيح الغيب ٢١/٥٠٨.

(٣) جامع البيان ١٨/١٤٣.

وانظر: الكشاف، الزمخشري ٤/٣، فتح القدير، الشوكاني ٣/٣٧٩، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٨٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٢١١.

(٥) الكشاف ٤/٣.

وتابعه عامة المفسرين، انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١/٧٧، البحر المحيط، أبو حيان ٧/٢٣٩، نظم الدرر، البقاعي

توكيداً لما فيه من الارتكان على حول الله وقوته، والتبري عن الأسباب الظاهرة»^(٤).

وقال ابن كثير: «والمراد من هذا الإخبار عن الضعف والكبر، ودلائله الظاهرة والباطنة»^(٥).

وقال السعدي: «شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن»^(٦).

كما ورد وهن الجسم من الكبر في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

فالآية تبين أن الإنسان بعد أن يبلغ قوته يعود إلى مرحلة الضعف بسبب الكبر.

قال السعدي: «يخبر تعالى عن سعة علمه وعظيم اقتداره وكمال حكمته، ابتداء خلق آدميين من ضعف وهو الأطوار الأول من خلقه من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى أن صار حيواناً في الأرحام إلى أن ولد، وهو في سن الطفولية وهو إذ ذاك في غاية الضعف وعدم القوة والقدرة. ثم ما زال الله يزيد في قوته شيئاً فشيئاً حتى بلغ سن الشباب واستوت قوته وكملت قواه الظاهرة والباطنة، ثم انتقل من هذا الطور ورجع إلى الضعف والشيبة والهرم»^(٧).

فالمفسرون يرون أن وهن العظم يستلزم وهن الجسم، كما قال الشنقيطي: «فوهنه يستلزم وهن غيره من البدن»^(١).

وقال ابن عاشور: «لأن العظم هو قوام البدن، وهو أصلب شيء فيه، فلا يبلغه الوهن إلا وقد بلغ ما فوقه»^(٢).

كما ربط الرازي بين وصف النداء بـ(الخفي)، وبين مظاهر الوهن في جسم زكريا، فذكر من الأوجه: «خفي صوته؛ لضعفه وهرمه، كما جاء في صفة الشيخ: صوته خفات وسمعه تارات. فإن قيل: من شرط النداء الجهر، فكيف الجمع بين كونه نداء وخفياً؟ والجواب من وجهين، الأول: أنه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت إلا أن الصوت كان ضعيفاً؛ لنهاية الضعف بسبب الكبر، فكان ﴿نِدَاءً﴾ نظراً إلى قصده، و﴿خَفِيّاً﴾ نظراً إلى الواقع»^(٣).

وبين الرازي أن ﴿وَهْنُ الْعَظْمِ﴾ هو استيلاء الضعف على باطن الجسم؛ لتداعي قوته، ثم قال: «وأما أثر الضعف في الظاهر فذلك استيلاء الشيب على الرأس. فثبت أن هذا الكلام يدل على استيلاء الضعف على الباطن والظاهر، وذلك مما يزيد الدعاء

١٢/١٦٨، إرشاد العقل السليم، أبو السعود

٥/٢٥٣، فتح القدير، الشوكاني ٣/٣٧٩.

(١) أضواء البيان ٣/٣٦٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٦/٦٤.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٢١/٥٠٧.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٢١/٥٠٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٢١٢.

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٩.

(٧) المصدر السابق ص ٦٤٤.

١٨٨١م، ولم يتبعه أغلب الباحثين إلا في القرن العشرين، ولذا نعجب أن يولي القرآن الكريم موضوع الشيخوخة عنايته قبل ذلك بأكثر من عشرة قرون، ولا تجد لهذا نظيراً في أي كتاب آخر ينسب اليوم للوحي غير القرآن الكريم، وإن إدراك خفايا الشيخوخة في عصرنا حيث توفرت التقنيات إنما هو شهادة للقرآن^(٣).

٢. الوهن بسبب العوارض الطارئة.

تحدث القرآن الكريم عن وهن الجسم بسبب العوارض الطارئة، ومنها حمل الأم وولادتها.

وقد جاءت الإشارة إلى وهن الحمل في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

فالآية تتحدث عن وصية الله للإنسان بوالديه، ثم تخصص والدته بالذكر؛ حيث حملته وهنا على وهن، ثم وضعته، ثم كان فصاله في عامين.

وقد فسر الوهن في الآية بالضعف، وقيل: الجهد والمشقة التي تعانيها الأم^(٤).

ومن الآيات التي تصف وهن الإنسان في هذه المرحلة، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨].

قال أبو السعود: «أي: نقلبه فيه، ونخلقه على عكس ما خلقناه أولاً، فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتتناقص بنيته ويتغير شكله وصورته، حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل، والخلو عن الفهم والإدراك»^(١).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَى أَزْدَى الْعُمْرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠].

قال النيسابوري: «أرذل العمر أخسه وأحقره. وقال السدي: هو حالة الخرف فيصير إلى حالة شبيهة بحال الطفل في النسيان وعدم التذكر، واعلم أن العقلاء ضبطوا مراتب عمر الإنسان في أربع:

أولها: سن النشوء.

وثانيها: سن الوقوف وهو سن الشباب.

وثالثها: الانحطاط الخفي اليسير، وهو سن الكهولة.

ورابعها: سن الانحطاط الظاهر، وهو سن الشيخوخة»^(٢).

«إن أول من تنبه لظاهرة الشيخوخة كعلم مستقل هو الطبيب الفرنسي شاركوت عام

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١٧٧/٧.

(٢) غرائب القرآن، النيسابوري ٢٨٢/٤، بتصرف.

(٣) الشيخوخة تنكيس في الخلق، محمد دودح، مجلة الإعجاز العلمي.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٣٧/٢٠، معاني القرآن، الزجاج ١٩٦/٤، الكشف، الزمخشري ٤٩٤/٣.

فلا تزال تلاقي المشاق، من حين يكون نطفة، من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد»^(٤).

والآية تُذَكِّرُ الإنسان بحق والديه عليه، وخاصة الأم، التي حملته وهنا على وهن، ثم وضعته كرهاً، ثم أرضعته عامين، قال سيد قطب «وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعرض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما. وهذه الصورة الموحية: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ ترسم ظلال هذا البذل النبيل، والأم بطبيعة الحال تحتل النصيب الأوفر وتجوده به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرق»^(٥).

وقد علل الشعراوي تذكير الإنسان بدور الأم دون الأب، مع أن الله وصاه بوالديه، وذلك أن دور الأم كان والإنسان جنين ثم رضيع لا يدرك، فالأم كانت «تصنع لك وأنت صغير لا تدرك صنعها، فهو مستور عنك لا تعرفه، أما أفعال الأب وصنعه لك فجاء حال كبرك وإدراكك للأمور من حولك، فالابن يعرف ما قدم أبوه من أجله»^(٦).

ومن الوهن بسبب العوارض الطارئة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

وعامة المفسرين على أن الوهن في الآية يعود إلى الأم، فقلوه: ﴿وَهْنًا﴾ حال من الفاعل ﴿أُمُّهُ﴾، والمعنى: حملته أمه في حال كونها واهنة وهنا على وهن. وذكر بعضهم أنه يُحتمل أن يكون حالاً من المفعول في ﴿حَمَلَتْهُ﴾، أي: الولد، فالواهن هو الجنين في بطن أمه إلا أن سياق الآية يدل على أن الوهن للأم؛ إذ الآية توصي الإنسان بوالديه، وتبين معاناة الأم في حملة، ثم في فصاله^(١).

كما ذكر المفسرون أقوالاً عديدة في المراد بالتركيب: ﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾، فقيل: ضعفاً بعد ضعف، وقال ابن عطية: «وقيل: إشارة إلى مشقة الحمل ومشقة الولادة بعده، وقيل: إشارة إلى ضعف الولد وضعف الأم معه، ويحتمل أن أشار إلى تدرج حالها في زيادة الضعف، فكانه لم يعين ضعفين بل كأنه قال: حملته أمه والضعف يتزايد بعد الضعف إلى أن ينقضي أمره»^(٢).

وزاد أبو حيان في البحر المحيط: «وقيل: وهنا على وهن: نطفة ثم علقه، إلى آخر النشأة، فعلى هذا يكون حالاً من الضمير المنصوب في ﴿حَمَلَتْهُ﴾، وهو الولد»^(٣).

وقال السعدي: «أي: مشقة على مشقة،

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٣٤٨/٤، البحر المحيط، أبو حيان ٤١٣/٨ - ٤١٤.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣٤٨/٤.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان ٤١٤/٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤٨.

(٥) في ظلال القرآن ٢٧٨٨/٥.

(٦) تفسير الشعراوي ١٩/١١٦٤١.

إِحْسَنَّا حَمَلَتَهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمَلُهُ
وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَلَدًا مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأحقاف: ١٥]﴾

وقال السعدي: «نبه على ذكر السبب
الموجب لذلك فذكر ما تحمله الأم
من ولدها وما قاسته من المكاره وقت
حملها، ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة
ثم مشقة الرضاع وخدمة الحضانه، وليست
المذكورات مدة يسيرة ساعة أو ساعتين،
وإنما ذلك مدة طويلة قدرها ﴿ثَلَاثُونَ
شَهْرًا﴾ للحمل تسعة أشهر ونحوها، والباقي
للرضاع هذا هو الغالب»^(١).

٣. من الإعجاز العلمي في آيات وهن
الجسم.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي
وَأَسْتَغْلِي الرَّأْسَ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

﴿وَهْنُ الْعَظْمِ﴾ يشير إلى مظهر من
مظاهر الجسم نتيجة الكبر، وبلوغ مرحلة
الشيخوخة، حيث تتناقص كثافة العظام،
وتضعف قوتها، وتلين صلابتها، ويصاب
النسيج العظمي بالهشاشة؛ مما يجعله
عرضة سهلة للكسر^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٨١.

(٢) لا للشيخوخة المبكرة، سامي محمود ص ٦١.

ويقرر الأطباء أن الجسم يبلغ قوته في
الأربعين، حيث إن «الكتلة العظمية تبلغ
ذروتها من حيث القوة والكثافة في سن
الثلاثين إلى الأربعين، ثم تبدأ تتناقص
كثافتها وتضعف قوتها بعد الأربعين، ويزداد
التناقص كلما تقدم الإنسان في العمر»^(٣).

وإلى بلوغ ذروة الأشد يشير قوله
تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾
[الأحقاف: ١٥].

ثم تبدأ مرحلة الضعف لقوى الجسم،
وهي مرحلة مقترنة بالشيخوخة (الشيبة)،
وجاء الحديث عنها في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا
وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

وتبين دلالة الإعجاز في استخدام لفظ
(الوهن) دون غيره من ألفاظ الضعف،
أو اللين، فلفظ «الوهن» يوحى بالتراكمية
والتدرج في المقدار، وهو يتناسب مع حالة
الهشاشة؛ فليس لها مقدار ثابت معين بل
إنها تتزايد شدتها، ويمكن أن تحدث منها
مضاعفات»^(٤).

ويشير العلماء إلى أن سبب وهن العظم

(٣) التناقص الهرموني في أوائل سورة مريم، د.

زهير رابح قرامي، موقع مجلة الإعجاز.

(٤) قراءة علمية وإعجازية في وهن العظام عند
الرجال، د. محمد الديب، موقع هيئة الإعجاز
العلمي.

قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥] (٢).

ثالثاً: وهن القلب وأسبابه

وهن القلب هو الضعف الذي يصيب قوته فيضعف ويفتر ويجبن، وقد جاء النهي عنه في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾، وجاء منفياً في موضع رابع ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾، فهو وصف ذميم، ينزه الله عباده المؤمنين عن الاتصاف به.

ويتبين من خلال آيات القرآن الكريم، أن لوهن القلب سببين، هما: حب الدنيا، وكراهية الموت. وقد جاء التصريح بهما في الحديث: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن)، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا، وكراهية الموت) (٣).

(٢) انظر: حملته أمه وهنا على وهن، عبد المحسن صالح، ٨٨-٩٥.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، من حديث ثوبان، رقم ٤٢٩٧، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام. وأخرجه أحمد، رقم ٨٦٩٨، وحسنه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسنده أحمد ٣٩٦/٨، وحسنه الشيخ الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود ٣٥٥/٦. وصححه الألباني، انظر: صحيح

عند الكبر يعود إلى نقص كفاءة خلايا البناء العظمي، مما يؤدي إلى نقص امتصاص الكالسيوم، ومن ثم زيادة هدم العظام؛ حيث تنفرد خلايا الهدم بالعمل على نخر العظام ولا تواجهها خلايا البناء بالتعويض (١).

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤].

تشير الآية إلى معاناة الأم أثناء حملها بولدها، ويقرر الأطباء أن الحامل تمر بمظاهر كثيرة من الوهن، خلال أشهر الحمل، وتعاني من آلام شديدة، سواء في منطقة الرحم أو المنطقة المحيطة به، أو في منطقة الثديين، أو في مناطق أخرى من جسمها، كالظهر والبطن والفخذين، ومجرى البول، والتهابات في العظام والأسنان. ويسهم الجنين أيضاً في وهن الأم؛ حيث يسحب ما يحتاج إليه من غذاء ودم من جسم أمه، مما يضاعف من وهنها. وفي الأشهر الأخيرة من الحمل تظهر أنواع أخرى من المتاعب الناتجة عن ضغط الرحم على المعدة والكبد، وتشكو الأم من ضيق في التنفس؛ لأن الرحم ملاً تجويف البطن. ومع اقتراب الوضع يزداد تقلص الرحم، وتكرر الانقباضات، وتشتد آلامها، حتى تضع الحامل جنينها كرهاً.

(١) التناشق الهرموني في أوائل سورة مريم، زهير رابح قرامي، موقع مجلة الإعجاز.

إلى الراحة والمهادنة؛ تجنباً للقتال، ورغبة في الدنيا.

قال الرازي في تفسير قوله: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: «يعني: كيف تمنعك الدنيا من طلب الآخرة بالجهاد»^(٥).

وقال ابن عاشور: «هذه الآية تعليل لمضمون قوله: ﴿فَلَا تَهْتَفُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ﴾»^(٦).

وهناك كثير من آيات القرآن الكريم تُبين أن حب الدنيا يوهن القلب، ويضعفه، ويملؤه بالجبين.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الذِّبُّ مَأْمُونًا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

قال الزمخشري: «أي: تباطأتم وتقاعستم، وضمّن معنى الميل والإخلاق فعدي بـ﴿إلى﴾، والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعه، ونحوه: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]»^(٧).

وقال ابن كثير: «هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، حين طابت الثمار

قال البيضاوي: «وأراد بـ(الوهن): ما يوجهه، ولذلك فُسِّرَ بحب الدنيا وكراهة الموت»^(١).

١. حب الدنيا.
قال تعالى: ﴿فَلَا تَهْتَفُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَهْزِمَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾^(٢) ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَنْ تَمُوتُوا وَتَنْفُتُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [محمد: ٣٥-٣٦].

قال البيضاوي: «﴿فَلَا تَهْتَفُوا﴾ فلا تضعفوا، ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ﴾ ولا تدعوا إلى الصلح خوراً وتذلاً»^(٣).

وقال الشوكاني: «فلا تضعفوا عن القتال، ولا تدعوا الكفار إلى الصلح ابتداء منكم، فإن ذلك لا يكون إلا عند الضعف»^(٤).

وقال سيد قطب «إن هذا النهي يكشف عن وجود أفراد من المسلمين كانوا يستقلون تكاليف الجهاد الطويل ومشقته الدائمة، وتهن عزائمهم دونه ويرغبون في السلم والمهادنة؛ ليستريحوا من مشقة الحروب»^(٤).

فالوهن المنهي عنه في الآية هو فتور القلب عن العزم في الجهاد، ومن ثمَّ يميل

الجامع الصغير، رقم ٨١٨٣، ٢/ ١٣٥٩.

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ٣/ ٣١٣.

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي ٥/ ١٢٥.

(٣) فتح القدير ٤٩/ ٥.

(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٠٢.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٨/ ٦٢.

(٦) التحرير والتنوير ٢٦/ ١٣٢.

(٧) الكشف ٢/ ٢٧١.

للقتال لا يؤدي إلا إلى مزيد من الوهن، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ** [آل عمران: ١٣٩-١٤٠].

قال البغوي: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد أعدائكم بما نالكم من القتل والجرح، وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم: حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير، وقتل من الأنصار سبعون رجلاً، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: على ما فاتكم^(٢).

وكراهية القتال «تنشأ بسبب الهزائم والآلام والقروح التي تصيب المؤمنين، مما يؤدي إلى تسلل الوهن إلى قلوبهم، ويكون مظاهر هذا الوهن: ضعفًا بعد قوة، وجبنًا بعد شجاعة، وفترًا بعد عزيمة، ويدفعهم ذلك إلى القعود عن الجهاد، وإلقاء السلاح، والتخلي عن نصرته الحق، والرضا بالذل والهوان»^(٣).

كما تحدث عن الربيين الذين قاتلوا مع النبيين، فلم يهنوا ولم يضعفوا، بل صبروا، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيتُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

(٢) معالم التنزيل، البغوي ١/٥١٣.

(٣) الوهن في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي ٤٥.

والظلال في شدة الحر ﴿أَنَّا قُلْنَا لِلْأَرْضِ﴾ أي: تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار، ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: ما لكم فعلتم هكذا، أرضًا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة؟!^(١).

كما أن حبَّ الدنيا يؤدي إلى الفشل، وهو الجبن والتنازع، فتهن القلوب، وتنكسر الهمم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فقال لهم: منكم من يريد الدنيا، وهم الذين كانوا سبيًا في هزيمة المسلمين في أحد، وهذه الهزيمة هي التي سببت وهنهم بعد ذلك، فنهاهم الله عنه، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ** [آل عمران: ١٣٩-١٤٠].

٢. كراهية الموت.

وقد تحدثت سورة آل عمران عن الوهن الذي أصاب المؤمنين، بعد هزيمتهم في أحد، وبيَّن لهم أن القعود عن الجهاد كراهية

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/١٥٣.

[١٤٦].

لذلك، فاشتكوا ما بهم من الجراحات،
فأنزل الله هذه الآية^(٤).

وبهذا يتبين أن وهن القلب في هذه
المشاهد كلها سببه الهزيمة التي لحقت
بالمسلمين في أحد، وما خلفته فيهم من آلام
وأسقام، وقروح وجروح، فوهنوا لذلك،
وتجلى هذا الوهن في المشهد الأول: في
تضعف قلوبهم وحزنها، وفي المشهد
الثاني: تجلى في جبن وانصرافٍ عن القتال،
وفي المشهد الثالث: تجلى في ثقلي وفتور.
ومرد ذلك كله إلى كراهية القتال، سواء
أكانت الكراهية عن حزن أو خوف أو إعياء.
أما الوهن الوارد في سورة محمد فمرده إلى
حب الدنيا والتعلق بها^(٥).

٣. وهن القلب معنى.

تحدث القرآن الكريم كثيرًا عن وهن
القلب، وبين مظاهره المختلفة:

❖ الحزن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا
تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

❖ الغضب، كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ
كِبْرَ الْأَئِمَّةِ وَالْفَوْحَشِ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ
يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

❖ الضيق، كما في قوله: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا
صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا

أي: ما وهنوا لمصابهم، فاللام؛ للتعليل
والسببية، وتفيد أن سبب الوهن هو ما
أصابهم في سبيل الله. قال الطبري: «فما
عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي
نالهم في سبيل الله، ولا لقتل من قتل
منهم، عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن
جهادهم»^(١).

وقال الماوردي: «فلم يهنوا بالخوف،
ولا ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا
بالخضوع». وقال ابن إسحاق: «فما وهنوا
بقتل نبيهم، ولا ضعفوا عن عدوهم، ولا
استكانوا لما أصابهم»^(٢).

وقال الزمخشري: «وهذا تعريض بما
أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف
بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ
الْقَوِّمْ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا
تَأْمُونُ﴾ [النساء: ١٠٤].

فقال الواحدي في تفسيرها: «والمراد
بالقوم ههنا: أبو سفيان وأصحابه، لما
انصرفوا عن أحد منهزمين، وقد قذف الله
في قلوبهم الرعب، أمر الله تعالى نبيه عليه
السلام أن يسير في آثارهم بعد الوقعة بأيام،
فندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس

(١) جامع البيان، الطبري ٧/ ٢٦٩.

(٢) النكت والعيون، الماوردي ١/ ٤٢٨.

(٣) الكشف ١/ ٤٢٤.

(٤) التفسير البسيط ٧/ ٦٥.

(٥) الوهن في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي
٤٩.

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لَاخُونَهُمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا
عُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴿١٥٦﴾

عمران: ١٥٦.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من مظاهر وهن القلب، كما في الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال) (٢).

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان) (٣).

قال النووي: «والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في

(٢) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك، رقم ٦٣٦٣، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال. ومسلم، رقم ٢٧٠٦، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل. واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، رقم ٢٦٦٤، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

تَأْتِ فِي صَبِيحٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾

[النحل: ١٢٧].

• الشاغل، كما في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

• الفشل، كقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا فَنفُسُكُمْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

• الخوف، كما في قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّيَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩]. قال ابن كثير: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّيَةِ جِدَادٍ﴾، أي: فإذا كان الأمن، تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك» (١).

• الحسرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٣٩٠.

له، ويطلب ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَقَدْ لَأَمَثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِِلْمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١-٤٣].

قال الطبري: «مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كيما يكنها، فلم يغن عنها شيئًا عند حاجتها إليه.

فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم -حين نزل بهم أمر الله، وحلَّ بهم سخطه- أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئًا، ولم يدفعوا عنهم ما أحلَّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم»، ونقل عن قتادة قوله: «هذا مثل ضربه الله للمشرك؛ مثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثال بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه» (٢).

طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك» (١).

فالمؤمن الضعيف يراد به: من أصاب قلبه الوهن، كالفتور أو العجز أو الندم أو التحسر، ولذلك قابل بينه وبين المؤمن القوي الذي لا يعجز ولا يفتر، بل يستعين بالله ويرضى بقضائه. وصفات المؤمن الضعيف هي تلك الصفات التي استعاذ منها الرسول صلى الله عليه وسلم، من هم وحزن، وعجز وكسل، وجبن وبخل.

ثالثًا: وهن العمل وأسبابه:

وهن العمل: هو ضعفه واختلاله وانعدام ثمرته، فلا يكون محكمًا، ولا مثمرًا، كبيت العنكبوت الذي لا يحمي من برد ولا حر. وقد تحدث القرآن الكريم كثيرًا عن وهن العمل، وفيما يأتي توضيح أمرين: صور وهن العمل، وتوهين الله كيد الكافرين.

١. صور وهن العمل.

من صور وهن العمل ما يلي:

❖ صرف العمل في غير محله.

كمن يدعو من لا يسمعه ولا يستجيب

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٠/٣٨.

(١) شرح صحيح مسلم ١٦/٢١٥.

من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعاداته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات. ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحرِّ والبرد بيت العنكبوت،» (٣).

❖ الإتيان بالعمل بغير طريقته الصحيحة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

قال الطبري: «﴿الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ يعني: بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يتغنون به ربحًا وفضلًا، فنالوا به عطبًا وهلاكًا ولم يدركوا طلبًا، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلًا وربحًا، فخاب رجاؤه. وخسر بيعه، ووكل في الذي رجا فضله» (٤).

وقال تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣].

قال ابن عباس: «يعني: الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهادًا في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة» (٥).

وقد يكون الوهن بسبب أن العامل لم يتجه بعمله الوجهة الصحيحة، فالمؤمنون عليهم أن يطلبوا النصر من ربهم، ويستمدوا العون منه، فإذا فعلوا ذلك نصرهم وقوي

وقال ابن كثير: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمشاركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئًا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع، فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها؛ لقوتها وثباتها» (١).

فسبب وهن عمل المشرك أنه تعلق بغير الله، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَاكِ فَأَتَاهَا مِنَ الْغَيْرِ﴾ [التوبة: ١٠٩].

قال الزمخشري: «والمعنى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ دينه على قاعدة قوية محكمة، وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه، ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ﴾ أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرعاها وأقلها بقاء، وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرفٍ هارٍ في قلة الثبات والاستمسك» (٢).

قال ابن القيم: «أعظم الناس خذلانًا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٢٧٩.

(٢) الكشاف ٢/٣١٢.

(٣) مدارج السالكين ١/٤٥٥.

(٤) جامع البيان، الطبري ١٨/١٢٥.

(٥) معالم التنزيل، البغوي ٥/٢٤٤.

وسلم يدعو ربه حين يصبح وحين يمسى: (أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين) ^(٢).

فكانت النتيجة ذلك أن الله كفاه وحماه ونصره، قال تعالى: ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦].

وتبين آيات القرآن الكريم صوراً شتى لو هن عمل المؤمنين جراء ضعف صلتهم بالله.

منها: اتباع أهواء اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ومنها: الركون إلى الظالمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

ومنها: الوقوع في الذنوب والمعاصي، قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا﴾ [مريم: ٥٩].

❁ الإتيان بما يبطل العمل.

(٢) أخرجه أبو داود عن أنس، رقم ٥٠٩٠، والنسائي، رقم ١٠٣٣٠، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٢٢٧، ٤٩٩/١.

أمرهم، وإن والوا غير ربهم خذلهم الله، فوهن عملهم، وتشتت أمرهم. فمن ضعفت صلته بربه خذله ووكله إلى نفسه؛ فقوة عمل العامل تأتي من قوة صلته بربه، فإذا ضعفت تلك الصلة وارتخت، فقد وهن عمله وضعف.

قال تعالى: ﴿إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فالحذلان إنما يكون بسبب وهن عملهم؛ إذ ضعفت صلتهم بربهم، فوهنوا فخذلهم الله.

قال الخطيب: «الذين يفوضون أمرهم إلى الله، ويشدون عزائمهم إليه، ويعلقون آمالهم به، هم الذين يحبهم الله ويتولاهم؛ لأنهم أحبوا الله وانتظموا في مجتمع أوليائه وإنهم إذ يلوذون بحمى الله فإنما يستمسكون بالعروة الوثقى، ويعتصمون بأقوى معتصم، وهم بهذا في ضمان النصر، وعلى طريقه، ولن يغلبهم أحد. فإن تخلوا عن الله، ووكلوا أمرهم إلى حولهم وحيلتهم، فقد آذنوا الله أن يتخلى عنهم، وأن يدعهم إلى أنفسهم، وهذا خذلان مبین، ومن خذله الله فلا ناصر له» ^(١).

ولذلك كان الرسول صلى الله عليه

(١) التفسير القرآني للقرآن ٢/ ٦٢٩.

والأذى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

قال الشوكاني «الإبطال للصدقات: إذهاب أثرها وإفساد منفعتها، أي: لا تبطلوها بالמן والأذى أو بأحدهما»^(٤).

كما جاء الحديث عن هذا الوهن في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلْتُمْ كُرْهًا بِقَبِيحَةٍ بِحَسْبِهِ الْفُطْمَانُ مَاءٌ حَوْقٌ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْءًا مَّنْشُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ١].

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

❖ حصول التنازع على العمل.

التنازع على العمل يوهنه، ويفرق أمر الجماعة، ويشتت شملها، ولذلك حذر الله المؤمنين من التفرق، كما حذرهم من التنازع.

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(٤) فتح القدير ١/ ٣٢٧.

ومن ذلك توهين الأمر بعد إبرامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَنَّا﴾ [النحل: ٩٢].

قال البيضاوي: «أي: نقضت غزلها من بعد إبرام وإحكام»^(١).

وفي تفسير ابن كثير: «قال السدي: هذه امرأة خرقاء كانت بمكة، كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إبرامه. وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده. وهذا القول أرجح وأظهر، وسواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا»^(٢).

وقال السعدي: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على سفه متعاطيها، وذلك ﴿كَالَّذِي﴾ تغزل غزلاً قوياً، فإذا استحکم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته ﴿أَنكَنَّا﴾ فتعبت على الغزل ثم على النقض، ولم تستفد سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص الرأي، فكذاك من نقض ما عاهد عليه، فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة»^(٣).

ومن ذلك الشرك، فالمشرك تنقطع صلته بالله انقطاعاً تاماً، ولذلك فالله يحبط عمله، ويرده عليه، كما قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

ومن ذلك إبطال الصدقات بالמן

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي ٣/ ٢٣٨.

(٢) تفسير القرآن الكريم ابن كثير ٤/ ٥٩٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٤٧.

وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل

عمران: ١٠٤].

قال السعدي: «أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة، مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، واتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالا اجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام»^(١).

وقال ناهياً المؤمنين عن التنازع: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال ابن القيم: «أمر الله المجاهدين بخمسة أشياء، وذكر منها: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم، فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها، فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرهما، فإذا فرقها

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٤١.

وصار كل منهم وحده كسرها كلها»^(٢).

٢. توهين الله كيد الكافرين.

قال تعالى: ﴿قَلَّمَ نَفْسَهُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ رَمَى فَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلَيْسَ لِتَأْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِلَّا أَنْ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٧-١٨].

قال الزمخشري: «﴿ذَلِكَمْ﴾ إشارة إلى البلاء الحسن، ومحلّه الرفع: أي: الغرض ذلكم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾ معطوف على ذلك. يعني: إن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين ﴿كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾»^(٣).

ويبين القرآن الكريم أن وهن كيد الكافرين سببه كفرهم بالله وآياته، ومحاربتهم لله ورسوله، ومشاققتهم، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبِ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

وقال: ﴿ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيْنَ مَا يُقْفَوْنَ لَا يَجِبُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبِ رَبِّكَ وَاللَّهُ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

(٢) الفروسية ٥٠٦.

(٣) الكشف ٢/٢٠٨، وانظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/٥١٢.

أمراً من كيد أو شر ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ محكمون مجازاتهم»^(٢).

ومن صور توهين الله كيد الكافرين ما ذكره الواحدي: «وتوهينه كيدهم يكون بأشياء: بإطلاع المؤمنين على عوراتهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وتفريق كلمتهم، ونقض ما أبرموا باختلاف عزائمهم»^(٣).

ومنها أيضاً: «إغراء العداوة والبغضاء بينهم، وتفريق كلمتهم، وتسليط بعضهم على بعض، وكشف كيدهم للمؤمنين. وتوهين كيد الكائدين، يستلزم توهين قلوبهم، فيشط عزائمهم، ويقذف الرعب في قلوبهم، ويضعف قوتهم، ومن إضعاف قوتهم: إلحاق الهزيمة بهم، وجعل الدائرة عليهم، وتمكين المؤمنين منهم»^(٤).

ومن الصور التي بينها سورة الأنفال في توهين الله كيد الكافرين^(٥):

دفع المشركين إلى المواجهة في بدر؛ لتحقيق الهزيمة بهم، فَيَهِنُ أَمْرَهُمْ، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ٧﴾ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْأَبْطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ

وقال: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَكَانَ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٢-١٣].

ومن صور كيد الكافرين بالمؤمنين: السعي في فتنتهم إما بقتل أو حرق أو قتل أبنائهم، أو اضطهادهم وصرْفهم عن دينهم، وخديعتهم إما بالتظاهر أنهم يريدون لهم الخير، أو بغير ذلك من صور الخداع التي يهدفون من ورائها إلى إيقاع الضرر وإرادة السوء بالمؤمنين، وخيانتهم بأي صورة من صور الخيانة. وهكذا كل تدبير يجتهدون فيه لإيقاع الضرر بالمؤمنين^(١).

والله تعالى بين في كتابه أنه موهن كيد الكافرين، ومبطل عملهم فقال: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ٧﴾ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْأَبْطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

وقال: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُ بِالسَّحَرِ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطِلَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾

[الزخرف: ٧٩].

قال الزجاج «أي: أم أحكموا عند أنفسهم

(١) انظر: الكيد في القرآن الكريم، يحيى محمد يحيى، ١١.

(٢) معاني القرآن ٤/ ٤٢٠.

(٣) التفسير البسيط ١٠/ ٧٤.

(٤) الوهن في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي ص ٦٥.

(٥) المصدر السابق ٦٣-٦٤.

أثر الوهن في الأفراد والأمم

للوهن كثير من الآثار في الأفراد وفي الأمم، ومن ذلك:
أولاً: ترك الجهاد والرضا بالذلّ:

بينت الآيات التي نهى الله فيها المؤمنين عن الوقوع في الوهن، أنّ أثر ذلك هو ترك الجهاد، والرضا بالقعود، والانقلاب على الأعقاب.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ١٤٤﴾
﴿وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوجِلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿[آل عمران: ١٤٤-١٤٥].

قال السعدي: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ بترك ما جاءكم من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك^(١).

وفي التفسير القرآني للقرآن: «حين مال المشركون على المسلمين يوم أحد، وأخذوهم بسيفهم وسهامهم، وسقط

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٥٠.

فِي الْبَعْدِ وَلَكِنْ لِيَقْضِ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴿[الأنفال: ٤٢].

ولقاء الرعب في قلوبهم، قال تعالى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢].

وإعجازهم عن أن يستأصلوا شأفة المسلمين رغم قلة عددهم وضعفهم أيام كانوا في مكة، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظِفَكُمُ النَّاسُ فَتَأْتِيَكُمُ الْيُدُوكُمْ بِضُرٍّ وَرِزْقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

وإعجازهم أن ينالوا من الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وتحسيرهم على ما ينفقونه من أموال في كيدهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

نفث الآية عن الربيين هذا الأثر، وحذرت المؤمنين منه.

وجاء في الحديث بيان أن ترك الجهاد والتهاون في إقامة الدين يؤدي بالمسلمين إلى المذلة، وهي مظهر من مظاهر العثائية: (لئن تركتم الجهاد، وأخذتم بأذنان البقر، وتبايعتم بالعينة، ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم، لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله، وترجعوا على ما كنتم عليه)^(٤).

قال الشوكاني: «وسبب هذا الذل -والله أعلم- أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين، عاملهم الله بنقيضه، وهو إنزال الذلة، فصاروا يمشون خلف أذنان البقر بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان»^(٥).

وهناك العديد من الآيات الكريمة التي تبين هذا الأثر، ومن ذلك قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا

(٤) أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر، رقم ٣٤٦٢، أبواب الإجارة، باب في النهي عن العينة، وأخرجه أحمد واللفظ له، رقم ٥٠٠٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ١١، ٤٢/١.
(٥) نيل الأوطار ٥/٢٤٦.

شهداؤهم الذين كانوا إلى جوار رسول الله تنادى المشركون أن محمداً قتل!! كان لهذا الخبر الكاذب وقعه على المسلمين، فاضطربت لذلك صفوفهم، ووقع كثير منهم تحت وطأة الحزن والكمد، فهام على وجهه يطلب الفرار من وجه هذا الهول الصاعق؛ إذ كانوا -وهم يعلمون أن محمداً ميت وأنهم ميتون- غير مستعدين، نفسياً، وهم في معمة المعركة، ووجودهم كله مستغرق فيها- كانوا غير مستعدين أن يتلقوا هذه الصدمة المزلزلة، وأن يصدقوها، وإن كانت حقاً، لا يمترون فيه ولا يشكون!«^(١).

وقوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعْدِيَّتَيْنِ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يبين أن الربيين لم يصبهم الوهن بمصابهم في سبيل الله، بل صبروا وجاهدوا. قال الماوردي: «الوهن: الانكسار بالخوف، والضعف: نقصان القوة، والاستكانة: الخضوع، ومعناه: فلم يهنوا بالخوف، ولا ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع»^(٢).
وقال ابن كثير: «وقال ابن عباس ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ تخشعوا. وقال السدي وابن زيد: وما ذلوا لعدوهم»^(٣).

فهذا يبين أن أثر الوهن هو الاستكانة والخضوع والمذلة للأعداء، ولذلك

(١) عبد الكريم الخطيب ٢/٦٠٦.
(٢) النكت والعيون، الماوردي ١/٤٢٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/١٣١.

نفسه التأخر في العبادة أن يتلى بأن يؤخره الله عز وجل في جميع مواطن الخير^(٢).

فواهن القلب لا يزال يدفعه ما في قلبه من وهن وضعف وفتر إلى التأخر عن الطاعات والتشاغل عنها، حتى يغلب عليه الكسل عن العبادة، وقد ذمَّ الله المنافقين بالتكاسل عن الصلاة فقال: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ [التوبة: ٥٤].

قال الواحدي: «أي: متباطئين»^(٣).

وقال الخليل: «الكسل: التشاغل عما لا ينبغي»^(٤).

وقال ابن عاشور: «الكسل: الفتور في الأفعال لسامة أو كراهية، والكسل في الصلاة مؤذن بقلّة اكتراث المصلي بها وزهده في فعلها، فلذلك كان من شيم المنافقين»^(٥).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين ٥٤/١٣.

(٣) التفسير البسيط ١٦٠/٧.

(٤) العين، مادة: ك س ل ٣١٠/٥. وتابعه جمهور اللغويين، ولفظه عند الأزهري في تهذيب اللغة، مادة: ك س ل ٣٧/١٠: «الكسل: التشاغل عما لا ينبغي التشاغل عنه»، وانظر: المفردات، الراغب، مادة: ك س ل ٧١١، وبصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي ٣٥٢/٤.

(٥) التحرير والتنوير ٢٣٩/٥.

عَدُوَّالْكُفْرِ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقَرُّشُوا لِلَّهِ قَرَضًا حَسَنًا يُضَوِّقَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ [التغابن: ١٤-١٧].

فبينت للمؤمنين أن الأموال والأولاد إذا أعاقوا الإنسان عن الإنفاق والطاعة، ففتر قلبه عن المسارعة في الخيرات، فإنما هم عدو له.

ثالثاً: الفتور عن الطاعة:

ومن آثار الوهن في الفرد هو فتوره عن الطاعة، وتأخره عنها، فالقرآن الكريم دعا المؤمنين إلى المسارعة في الخيرات، ومدحهم بذلك، فقال: ﴿لَا تَتَمَنَّوْا أَنْ يُسَكِّرَعُونَكُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

والواهن لا يسارع في الخيرات بل يتقاعس عنها، كما ورد في الحديث: (لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله)^(١).

قال ابن عثيمين: «ولا شك أن التأخر عن الصلاة أشد من التأخر عن الصف الأول، وعلى هذا فيخشى على الإنسان إذا عود

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري، رقم ٤٣٨، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف.

ثالثاً: غثائية الأمة:

يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أثر الوهن في الأمم، فيقول: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها)، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن)، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا، وكراهية الموت)^(١).

فذكر أهم آثار الوهن في الأمم، وهي: ضعف الأمة مما ينتج عنه تداعي الأمم عليها والغثائية التي تعيشها الأمة، ونزع مهابة الأمة من صدور أعدائها.

قال في عون المعبود: «غثاء السيل: ما يحمله السيل من زبد ووسخ، شبههم به؛ لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم»^(٢).

وقال البيضاوي: «والمعنى: ولكنكم تكونون متفرقين، ضعيفي الحال، خفيفي العقل، دنيئي القدر، كغثاء السيل»^(٣).

وقال الزجاج «الغثاء: الهالك البالي من ورق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زبده»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) محمد أشرف بن أمير ٢٧٣/١١.

(٣) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ٣/٣١٣.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة: غ ث ا

وأبرز مظاهر غثائية الأمة: تفرقها وضعف أمرها، وهو ما جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

«وعوامل القوة في الأمة تكمن في اجتماع كلمتها، ووحدة صفها، وإقامتها للدين، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، ونصرتها للحق، ودفاعها عن المظلوم، وأخذها على يد الظالم، واهتمامها بمعالي الأمور، ومسارعتها في الخيرات والطاعات، وشدة بأسها، وأخذهم بقوة لكل أسباب القوة.

وبهذه العوامل تكون الأمة قوية، مرفوعة الجبين، مرهوبة الجانب، يهابها أعداؤها، ويخضعون لها. فإذا دبَّ الوهن في أمة من الأمم، فإن الوهن ينخر في كل عوامل القوة، فيتبعثر الصف، وتنفق الكلمة، وتتنافر القلوب، ويتناقل الناس عن الجهاد، بل يعيرون المجاهدين فيهم، ويتخلون عن مقتضيات القيام بالدين، فيتقاعسون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفترون عن نصرة الحق وأهله؛ فيعود الدين غريباً.

فالصلوات تضع، والشهوات تتبع، والمنكرات تبتدع، ويتشتر الظلم، ويضعف أهل الحق، ويستشري اليأس في النفوس،

الاجتماع، ودعاء البعض بعضًا، والمراد من الأمم: فرق الكفر والضلالة (إلى قصعتها) الضمير للأكلة، أي: التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع، فيأكلونها عفوًا وصفوًا، كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم، قاله القاري.

قال في المجمع: أي: يقرب أن فرق الكفر وأمم الضلالة أن تداعى عليكم، أي: يدعو بعضهم بعضًا إلى الاجتماع؛ لقتالكم وكسر شوكتكم؛ ليغلبوا على ما ملكتموها من الديار، كما أن الفئة الأكلة يتداعى بعضهم بعضًا إلى قصعتهم التي يتناولونها من غير مانع، فيأكلونها صفوًا من غير تعب^(٤).

وبين الحديث أن الأمم لا تتداعى على الأمة إلا بعد وهن قلوبها، كما قال: (وليقذفن الله في قلوبكم الوهن)، وسببه حب الدنيا وكرهية الموت. وقد بين القرآن الكريم أن الكافرين لا يتمكنون من المؤمنين إلا في حال غفلتهم، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَفْقَلُون عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

قال ابن عاشور: «وقوله: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلخ، ودهم هذا معروف؛ إذ هو شأن كل محارب، فليس ذلك المعنى

ويستعذب الناس حياض الذل، ويرتعون في مستنقعات الهوان، ويغلب عليهم الاهتمام بسفاسف الأمور، ويغطون في ظلمات الجهل، ويتخلون عن حمل الأمانة، وتتمزق الأواصر، وتهتري الأخلاق. وبذلك تصبح أمة (غثائية)^(١).

وقد سمى القرآن الكريم هذه الحالة (ذهاب الريح)، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال ابن كثير في تفسير: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: «أي: قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال»^(٢).

وقال أبو السعود: «أي: تذهب دولتكم وشوكتكم، فإنها مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها»^(٣).

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق تفسير لذهاب الريح، (ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم).

رابعًا: تداعى الأمم عليها:

جاء في عون المعبود: «التداعي:

(١) الوهن في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي ٧٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧٢/٤.

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٥/٤.

(٤) محمد أشرف بن أمير ٢٧٣/١١.

علاج الوهن

أرشد القرآن الكريم المؤمنين إلى العلاج الشافي من هذا الداء، وتبين الآيات الواردة في سورة آل عمران وغيرها من السور كثيرًا من مكونات هذا العلاج. ومن ذلك:

أولاً: الإيمان بالقدر:

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ١٤٤﴾
 وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلْنَا مَعَهُ رِيبَتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوِّمِ الْكَافِرِينَ ١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٤-١٤٨].

قال الواحدي: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾ أي: ما كانت نفسٌ لتموت ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وقدره، كتب الله ذلك ﴿كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ إلى أجله الذي قدر له فلم

المعروف هو المقصود من الآية، إنما المقصود أنهم ودوا ودًا مستقرًا عندهم؛ لظنهم أن اشتغال المسلمين بأمور دينهم يباعد بينهم وبين مصالح دنياهم؛ جهلاً من المشركين لحقيقة الدين، فطمعوا أن تلهيهم الصلاة عن الاستعداد لأعدائهم، فنبه الله المؤمنين إلى ذلك كيلا يكونوا عند ظن المشركين، وليعودهم بالأخذ بالحزم في كل الأمور، وليريهم أن صلاح الدين والدنيا صنوان^(١).

وهذا يوضحه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

أي: «قلتم: من أين لنا هذا الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾؛ لأنكم تركتم المركز فخذلتم»^(٢).

وقال السعدي: «﴿قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا﴾ أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمتنا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ حين تنازعتم وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية»^(٣).

(١) التحرير والتنوير ٥/ ١٨٧.

(٢) تفسير الجلالين ٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ١٥٦.

فالقِتال لن يقدم في الأجل، وتركه لن يؤخر في الأجل، فالموت والحياة بإذن الله، ولن ينفع الفارُّ فراره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦].

ثانيًا: فقه سنن الله:

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَجٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَجٌ مِّثْلُهُ وَذَلِكَ الْآيَاتُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَاهِرِينَ (١٤٢) [آل عمران: ١٣٧-١٤٢].

تبين هذه الآيات للمؤمنين أنَّ لله سننًا، كمدولة الأيام بين الناس، وابتلاء المؤمنين، وفتنة الكافرين، وعلى المسلمين السير في الأرض والتفقه في سنن الله، وعدم الاستسلام لعوامل الوهن، فإنَّ التبصر في سنن الله يساعدهم على تجاوز آثار الهزيمة، والتغلب على الحزن الذي استبد بهم، ويقوي عزائمهم، ويرفع من الهمم.

انهزمتم؟ والهزيمة لا تزيد في الحياة^(١). وجاء في التفسير البسيط^(٢): «وقال ابن الأنباري: عاتب الله تعالى بهذا المنهزمين يوم أحد؛ رغبة في الدنيا، وضئًا بالحياة، وأخبرهم أن الحياة (لا تزيد) ولا تنقص، وأن الموت بأجل عنده، لا يتقدم ولا يتأخر». وقال ابن كثير^(٣): «وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال، فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه».

وهذا المعنى أكدته سورة آل عمران في أكثر من موضع، كقوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٥٦) وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَكِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تَحْسَرُونَ [آل عمران: ١٥٦-١٥٨].

وفي سورة النساء: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

(١) التفسير الوجيز ٢٣٥.

(٢) الواحدي ٤٢/٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٢٩/٢.

قال السعدي: «فما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك»^(١).

قال ابن القيم مبيّنًا سنن الله وحكمته التي تتحدث عنها هذه الآيات:

«فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم وإحياء عزائمهم وهممهم، وبين حسن التسلية، وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فقد استويتم في القرح والألم، وتبايتم في الرجاء والثواب، كما قال: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان، وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي. ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس، وأنها عرض حاضر، يقسمها دولاً بين أوليائه وأعدائه، بخلاف الآخرة، فإن عزاها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا. ثم ذكر حكمة أخرى، وهي أن يتميز

المؤمنون من المنافقين، فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه، وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، وإنما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم إذا صار مشاهدًا واقعًا في الحسّ.

ثم ذكر حكمة أخرى، وهي اتخاذ سبحانه منهم شهداء، فإنه يحب الشهداء من عباده، وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها، وقد اتخذهم لنفسه، فلا بد أن ينيلهم درجة الشهادة.

ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم، وهو تمحيص الذين آمنوا، وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب، ومن آفات النفوس، وأيضًا فإنه خلصهم، ومخلصهم من المنافقين، فتميزوا منهم، فحصل لهم تمحيصان: تمحيص من نفوسهم، وتمحيص ممن كان يظهر أنه منهم وهو عدوهم.

ثم ذكر حكمة أخرى وهي محق الكافرين بطغيانهم وبغيهم وعدوانهم، ثم أنكر عليهم حسابانهم وظنهم أن يدخلوا الجنة بدون الجهاد في سبيله والصبر على أذى أعدائه، وإن هذا ممتنع بحيث ينكر على من ظنه وحسبه، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

أي: ولما يقع ذلك منكم فيعلمه، فإنه

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٩٩.

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢٤٩-٢٥٠). ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩-٢٥٠].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأفقال: ٤٥-٤٦].

قال سيد قطب «إن المؤمنين يحتملون الألم والقرح في المعركة، ولكنهم ليسوا وحدهم الذين يحتملونه، إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح واللاواء، فإذا أصر الكفار على المعركة، فما أجدر المؤمنين أن يكونوا هم أشد إصراراً، وإذا احتمل الكفار آلامها، فما أجدر المؤمنين بالصبر على ما ينالهم من آلام!! وما أجدرهم كذلك أن لا يكفوا عن ابتغاء القوم ومتابعتهم بالقتال، وتعقب آثارهم، حتى لا تبقى لهم قوة، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله. وإن هذا لهو فضل العقيدة في الله في كل كفاح. فهناك اللحظات التي تعلق فيها المشقة على الطاقة، ويربو الألم على الاحتمال، ويحتاج القلب البشري إلى مدد فائض وإلى زاد» (٢).

لو وقع لعلمه فجازاكم عليه بالجنة، فيكون الجزاء على الواقع المعلوم، لا على مجرد العلم، فإن الله لا يجزي العبد على مجرد علمه فيه دون أن يقع معلومه.

ثم وبخهم على هزيمتهم من أمر كانوا يتمنونه ويودون لقاءه. فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

قال ابن عباس: ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر من الكرامة رغبوا في الشهادة، فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه، فيلحقون إخوانهم، فأراهم الله ذلك يوم أحد وسببه لهم، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣] (١).

ثالثاً: الصبر:

تربط الآيات التي تحذر المؤمنين من الوهن بينه وبين الصبر، حيث تبين لهم أن الصبر سلاح قوي يتسلح به المؤمن، فيعصمه الله من الوهن، قال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٧٥٠.

(١) زاد المعاد ٣/ ١٩٩، ٢٠١.

وفي سورة آل عمران يبين الحق تعالى أن صبر المؤمنين وتقواهم يحقق لهم أربعة أمور^(١):

الأول: إبطال كيد أعدائهم، فقال: ﴿وإن تصبرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال القرطبي^(٢): «﴿وإن تصبرُوا﴾ أي: على أذاهم وعلى الطاعة وموالة المؤمنين ﴿وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، فشرط تعالى نفي ضررهم بالصبر والتقوى، فكان ذلك تسلياً للمؤمنين وتقوية لنفوسهم».

الثاني: الفوز بنصر الله، فقال: ﴿بَلْ إن تصبرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

«قال الضحاك وعكرمة: كان هذا يوم أحد وعدهم الله المدد إن صبروا، فلم يصبروا فلم يمدوا»^(٣). وقال السعدي: «وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الصبر والتقوى»^(٤).

الثالث: التغلب على آثار الهزيمة النفسية، فقال: ﴿تَلْبُوتٌ فِي أَمْوَالِكُمْ

وَأَنفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

فالتغلب على آثار البلاء، وعلى حرب المشركين الإعلامية، إنما يكون بالصبر والتقوى. قال ابن عثيمين: «أي: إن الذي يصبر على أذى الناس، ويحتملهم ويغفر لهم سيئاتهم التي يسيئون بها إليه؛ فإن ذلك ﴿لَيْنٌ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. أي: من معزوماتها وشدائدها التي تحتاج إلى مقابلة ومصابرة. ولا سيما إذا كان الأذى الذي ينال الإنسان بسبب جهاده في الله عز وجل وبسبب طاعته؛ لأن أذية الناس لك لها أسباب متعددة متنوعة. فإذا كان سببها طاعة الله عز وجل، والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن الإنسان يثاب على ذلك من وجهين: الوجه الأول: من الأذية التي تحصل له. والوجه الثاني: صبره على هذه الطاعة التي أؤدي في الله من أجلها»^(٥).

الرابع: الفلاح في الدنيا والآخرة، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاضُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

قال البقاعي: «أي: ليكون حالكم حال

(٥) شرح رياض الصالحين ١/ ١٨٢.

(١) الوهن في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي ١١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/ ١٨٣.

(٣) معالم التنزيل، البغوي ١/ ٥٠٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ١٤٦، بتصرف.

من يرجى فلاحه وظفره بما يريد من النصر على الأعداء والفوز بعيش الشهداء»^(١).

رابعاً: اجتناب الحزن والخوف:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقال: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ وَارْسُولٌ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجَكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ غَمًّا يَكْبِلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

«ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهياً عنه أو منفيًا، وسر ذلك أن الحزن موقف غير مسر، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد؛ ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه، فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن)^(٢).

فهو قرين الهم، والفرق بينهما أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مضعف للقلب عن السير،

(١) نظم الدرر ١٦٩/٥.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك، رقم ٢٨٩٣، كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة.

مفتر للعزم»^(٣).

والإيمان بالقدر فيه راحة النفس والقلب، وعدم الحزن على ما فات، وعدم الغم والهم لما يستقبل، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١٠ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

والذي لا يؤمن بالقدر لا شك أنه سوف يتضرع عند المصائب ويندم، ويفتح الشيطان له كل باب، وأنه سوف يفرح ويظهر ويغتر إذا أصابته السراء، لكن الإيمان بالقدر يمنع هذا كله»^(٤).

وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١١٠ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١١ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

أن طريق المؤمنين في اجتناب الحزن أن يحتسبوا تضحياتهم، ويثقوا أنها محفوظة لهم عند ربهم، ومن قتل منهم فلن يضيع عمله، وعليهم ألا يحسبوا أن القتلى في سبيل الله أمواتًا، بل هم أحياء عند ربهم

(٣) مدارج السالكين ٥٠١/١.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين ٨٦/٢.

يرزقون، وأن يوقنوا أن ما عند الله خير لهم وأبقى^(١).

ومن تدبير الإسلام في علاج الحزن والخوف:

«أولاً: هوّن على المؤمنين خطب الموت، وذلك بإيمانهم بالحياة الآخرة إيماناً يشعرون معه أن الموت ليس إلا انتقالاً من عالم إلى عالم أرحب وأفسح، ومن هنا فلا ينظرون إلى الموت على أنه فناء أبدي للميت، وضياح لا نهائي لمن يموت، كما ينظر إلى ذلك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

وثانياً: أنه وعد المؤمنين المجاهدين في سبيل الله درجات عالية عند الله سبحانه، حيث ينزلون منازل الأنبياء والصديقين، وإنما تتجلى طاعة الله ورسوله على أتم وجه وأكملة في ميدان الجهاد في سبيل الله. وثالثاً: أنه توعّد الذين ينظمون في صفوف المجاهدين، ثم إذا التحم القتال، وتساقطت الرؤوس، وتناثرت الأشلاء، وسالت الدماء ركبهم الفزع، واستبدّ بهم الجزع، والتمسوا وجوه النجاة في الفرار من الميدان، أو النكوص على الأعقاب، أو الدعوة إلى السلم والاستسلام، توعّد الإسلام من كان في المجاهدين المقاتلين،

ثم أخذ هذا الموقف المتخاذل توعّده بغضب من الله، وبعذاب أليم في نار جهنم^(٢).

خامساً: التوكل على الله:

قال تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ إِذَٰلِكَ فَآتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٢﴾ [آل عمران: ١٢٢-١٢٣].

تبين الآيات أن التوكل على الله، يحول بين المؤمنين وأن يقعوا في الوهن، فولاية هاتين الطائفتين لله وتوكلهما عليه، جَنَّبَهُمَا الفشل، وهو الجبن والخور والرعب. قال البيضاوي: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره؛ لينصرهم كما نصرهم بيدر^(٣).

قال البغوي: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ أي: تجبنا وتضعفا وتثقلنا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد في ألف رجل، وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط انسحب عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاثمائة، وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبهم أبو جابر

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ١٣/٣٨١، وما بعدها، بتصرف.

(٣) أنوار التنزيل، البيضاوي ٢/٣٦.

(١) الوهن في القرآن الكريم، عبد المجيد الغيلي ١٠٨.

عليه وسلم في السعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب وتحرز من عدو وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة. وإلى هذا ذهب محققو الصوفية، لكنه لا يستحق اسم التوكل عندهم مع الطمأنينة إلى تلك الأسباب والالتفات إليها بالقلوب، فإنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته، ومتى وقع من المتوكل ركون إلى تلك الأسباب فقد انسلخ عن ذلك الاسم^(٢).

قال ابن رجب: «وتحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ

السُّلَمِي، فقال: أنشدكم الله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أبي: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله، فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته، فقال عز وجل: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما وحافظهما عن الانصراف من القتال، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وقال القرطبي: «والتوكل في اللغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير. واختلف العلماء في حقيقة التوكل، فسئل عنه سهل بن عبد الله فقال: قالت فرقة: الرضا بالضمان، وقطع الطمع من المخلوقين. وقال قوم: التوكل ترك الأسباب والركون إلى مسبب الأسباب، فإذا شغله السبب عن المسبب زال عنه اسم التوكل. قال سهل: من قال: إن التوكل يكون بترك السبب فقد طعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَكُلُوا وَمَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]. فالغنيمة اكتساب. وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا فَوْقَ الْأَغْنَاكِ وَاصْبِرُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، فهذا عمل. وقال غيره: وهذا قول عامة الفقهاء، وأن التوكل على الله هو الثقة بالله والإيقان بأن قضاءه ماضٍ، واتباع سنة نبيه صلى الله

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/ ١٩٠.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٩٨.

(١) معالم التنزيل، البغوي ١/ ٥٠٠.

لَكُمْ وَإِنْ يَحْذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قال أبو السعود: «تقديم الجار والمجرور على الفعل؛ لإفادة قصره عليه تعالى، والفاء؛ لترتيبه أو ترتيب الأمر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم، ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى إياهم، فإن العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة، والمراد بالمؤمنين إما الجنس، والمخاطبون داخلون فيه دخولاً أولياً، وإما هم خاصة بطريق الالتفات. وأيا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الإيمان اشتراكاً أو استقلالاً، وفيه تعليل لتحتم التوكل عليه تعالى، فإن وصف الإيمان مما يوجبه قطعاً»^(١).

سادساً: الجهاد بالنفس والمال:

جاء في الحديث: (لئن تركتم الجهاد، وأخذتم بأذنان البقر، وتبايعتم بالعينة، ليلزمنكم الله مذلةً في رقابكم، لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه)^(٢).

فيبين أن التوبة إلى الله بالرجوع إلى الجهاد، وإقامة الدين، وعدم مخالفة الله ورسوله، هو الطريق لنزع الذل من الرقاب.

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١٠٥/٢.

(٢) سبق تخريجه.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾ يسألونك عن الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٢١٦-٢١٧].

جاء في فتاوى الشيخ ابن باز: «الواجب على المسلمين أن يطالبوا بالقدس، وأن يردوها إلى أهلها، وأن يجتهدوا في ذلك؛ لأن أهلها مظلومون، ونصر المظلوم لازم وواجب، ولأن القدس للمسلمين وليست للكفار، فيجب أن ترد إلى أهلها، فالرسول عليه السلام يقول: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)^(٣).

فهؤلاء مظلومون ونصرهم واجب، والظالم نصره منعه من الظلم، فالواجب

(٣) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك، رقم ٢٤٤٣، كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ومسلم من حديث جابر بن عبد الله، رقم ٢٥٨٤، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير.

ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال. وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته. فإذا كان شيء موجود أكثر إرهاباً منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأموراً بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾
ممن تعلمون أنهم أعداؤكم. ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ ممن سيقا تلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به، ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم. ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية في جهاد الكفار.

ولهذا قال تعالى مرغباً في ذلك: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قليلاً كان أو كثيراً ﴿يُؤْتِ إِلَيْكُمْ﴾ أجره يوم القيامة مضاعفاً أضعافاً كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي:

على الدول الإسلامية أن ينصروا المظلوم، وأن يستعيدوا هذه البلاد، وأن يفعلوا مع ذلك ما يلزمهم من طاعة الله ورسوله، والاستقامة على دين الله ورسوله، حتى يعانون، وحتى يوفقوا لما أرادوا من الخير، وحتى تحصل لهم النصرة من ربهم عز وجل، وتسهيل أمورهم وإجلاء الأعداء، وتمكين المسلمين من استرداد حقهم السليب^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِيَّاهُمْ لَا يُعْزِزُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩-٦٠].

قال السعدي: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة، والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي

(١) فتاوى نور على الدرب ١٨/٢٥٢.

لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئاً»^(١).

وقد جعل الله الإنفاق في سبيل الله من الجهاد، وفي القرآن الكريم غالباً ما يقرن الجهاد بالنفس مع المال، قال ابن باز: «قدم الله سبحانه الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في غالب الآيات. فالمقصود أن الجهاد في سبيل الله له شأن عظيم، فهو بالمال أفضل في بعض الوجوه، وبالنفس أفضل في بعض الوجوه؛ فالنفس أغلى شيء عند الإنسان، فالجهاد بالنفس هذا أفضل الجهاد؛ لأنه مجاهد بنفسه، لكن قدم الله المال؛ لأن المال ينفع في جهات كثيرة، يستطيع أن يستأجر به المجاهد، ويستطيع أن يجهز به المجاهد، ويستطيع أن يشتري به السلاح، ويشتري به الطعام والشراب، وتشتري به الكسوة، وتشتري به المئونة والذخيرة، فنفع المال متنوع»^(٢).

ومن العلاج أيضاً: تعبئة الأمة بروح الجهاد، وبث حياة العزة والكرامة في أوصالها، حتى لا يدب إليها الوهن. وقد أمر الله رسوله بالتحريض على القتال، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٣).

أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٥-٦٦﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦].

قال أبو السعود^(٣): «أي: بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما أمكن من الأمور المرغوبة، التي أعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى أو بكفايتهم». «ولا بد من إذكاء الروح الجهادية في النفوس، وتبصير القاصي والداني من أبناء الأمة بأهمية الجهاد في سبيل الله، وبأنه طريق العزة، وطريق الأمة في تحرير نفسها وأرضها ومقدساتها»^(٤).

سابعاً: طاعة الله ورسوله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٥-٤٦﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

فجعل طاعة الله ورسوله من العلاجات التي تقي المؤمنين من الانزلاق إلى الوهن، والتنازع، والفشل. قال السعدي: «﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال.

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٤/ ٣٤.

(٤) الوهن كما حددته السنة وأثره في تخلف الأمة، د. هاني طعيمات ص ٦٣٠.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢٤.

(٢) فتاوى نور على الدرب ١٨/ ٢٦٤.

[النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال سيد قطب: «وأما طاعة الله ورسوله، فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداء، فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ وَنَذَهَبَ رِيحَكُمْ» فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار.

فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم -مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة-، فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع (الذات) في كفة، والحق في كفة وترجيح الذات على الحق ابتداء! ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة إنه من عمليات (الضبط) التي لا بد منها في المعركة، إنها طاعة القيادة العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها. وهي طاعة قلبية عميقة لا مجرد الطاعة التنظيمية

﴿وَلَا تَنَزَعُوا﴾ تنازعاً يوجب تشتت القلوب وتفرقها، ﴿فَنَفْسِلُوا﴾ أي: تَجِبْنُوا وَنَذَهَبَ رِيحَكُمْ أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله^(١).

وفي التفسير الحديث: «في الآيات نداء موجه للمسلمين يؤمرون به بالثبات في القتال حينما يلتحمون مع فئة من أعدائهم ويلقونها، وبذكر الله كثيراً آنذاك، حيث يضمن لهم ذلك الروحانية والتأييد والفلاح، ويحثون به على طاعة الله ورسوله في كل موقف ويحذرون به من التنازع والاختلاف؛ لأن فيهما فشلهم وإدبار أمرهم، ويؤمرون فيه بالصبر؛ لأن ذلك يضمن لهم نصر الله وتأييده، وينهون به عن أن يكونوا مثل الكفار الذين خرجوا من مكة يملؤهم الفخر والزهو والبطر وحبُّ التظاهر، وهم يصدون عن سبيل الله، والله محيط بهم ومحبط لأعمالهم»^(٢).

وطاعة الله ورسوله هي عاصم الأمة من التفرق، وطريقها إلى الوحدة القائمة على هوية دينها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢٢.

(٢) التفسير الحديث، محمد عزت ٦٦/٧.

في الجيوش التي لا تجاهد لله، ولا يقوم ولاؤها للقيادة على ولائها لله أصلاً والمسافة كبيرة كبيرة»^(١).

فلن يوحد أمة الإسلام إلا طاعة الله ورسوله، والاعتصام بحبل الله، فتربطهم رابطة الدين، ويتمون إليه، وليس إلى عصبيات أو لغات أو أعراق، ويوالون بعضهم بعضاً، كما أمرهم ربهم فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

ويجتنبون موالاة اليهود والنصارى، التي تمزقهم وتفرقهم وتوهمهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

موضوعات ذات صلة:

الحزن، الذل، الضعف، العزم، القوة

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٢٨.